

تقرير

شوقي عشقوتبي
lionbars@hotmail.comمن لبنان إلى العراق... ومن ليبيا إلى المتوسط
الإنذاعة الفرنسية على وقع الصراع مع تركيا

وضع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون حدا لسياسة الانكفاء الاوروبي عن الشرق الاوسط، وبدا العمل على تأسيس استراتيجية جديدة في هذه المنطقة تكون فرنسا محور القيادة فيها، متحركا في كل الاتجاهات من شرق المتوسط الى غربه، من لبنان الى العراق، ومن ليبيا الى دول الساحل والصحراء الافريقية

يعمل الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، وعلى ايقاع صراع مكشوف مع الرئيس التركي رجب طيب اردوغان، على بلورة استراتيجية اوروبية جديدة تلعب فيها فرنسا دورا قياديا فاعلا ومؤثرا، وتستعيد من خلالها دورا مفقودا ونفوذًا ضائعًا. في اطار هذه الاستراتيجية تندرج تحركاته المكثفة ورحلاته المكوكية التي كان اخرها في لبنان والعراق. في البلدين، يلامس ماكرون الوجود الايراني ويطمح الى ان يلعب دور العازل بين ايران واميركا، ويقدم رؤية سياسية اوروبية لمسار جديد في التعامل مع لبنان والعراق اللذين يتشابهان في اوضاع وظروف مماثلة. في بيروت طرح مبادرة لمساعدة لبنان وحمائته من الطبقة السياسية. وفي بغداد طرح مبادرة لحماية سيادة العراق، حيث تحتفظ فرنسا بعلاقات خاصة مع الاكراد وعلاقة جيدة مع حكومة بغداد، بعدما كان لها دور مساهم في محاربة تنظيم داعش والقضاء عليه.

يريد لبنان ان ينأى بنفسه عن مشاكل المنطقة وصراعات الاخرين، ويريد للعراق ان يلعب دورا محوريا في المنطقة، وان لا يكون ساحة صراع للاخرين بل منطقة استقرار واعتدال. فرنسا تحاول ان تستغل الفراغ الذي تركته اميركا في الشرق الاوسط بسبب انشغالها بالانتخابات، بهدف تأكيد حضورها في عدد من الدول، خصوصا تلك التي لديها مشاكل مع ايران، وفرنسا تنظر الى العراق من زاوية علاقتها مع طهران. زيارة ماكرون الى بغداد تأتي في سياق دور فرنسي لترتيب

اوراق المنطقة، وتحديد العلاقة الاوروبية - الايرانية - الاميركية. منذ اللحظة الاولى اظهر ماكرون جدية وحزما في لبنان، واعطى اشارات الى انه ليس تدخلا ظرفيا وعرضيا، وانما تدخل منهجي مستدام ساهم انفجار بيروت في تسريع وتيرته وبلورة مضمونه. وبالنظر الى تعقيدات الملف اللبناني، وسع مروحة اتصالاته خليجيا وعربيا واقليميا ودوليا ساعيا الى الحصول على ما يشبه التفويض، وحاول رسم طريق تلتف على الاضداد التي تستخدم لبنان ساحة لتصفية الحسابات، ومن ذلك التواصل مع طهران وواشنطن والانفتاح على حزب الله الذي له ممثلون في البرلمان مع تأكيده، في الوقت عينه، انه لا يوافق على عدد من سياساته. عمل ماكرون على بلورة مقترحات اصلاحية يراها ضرورية لاقتناع مجموعة الدعم الدولية للبنان والمؤسسات المالية الدولية بالوقوف الى جانبه، وتعهد الدعوة الى مؤتمر دولي جديد برعاية الامم المتحدة لحشد الدعم الدولي للبنان.

اظهر الرئيس الفرنسي اهتماما فوق العادة بلبنان لم يظهره اي رئيس دولة واي رئيس فرنسي. هذا الاهتمام الفائق الذي يرى فيه البعض تدخلا سافرا في الشأن الداخلي، يمكن رده الى ثلاثة اعتبارات وعوامل اساسية:

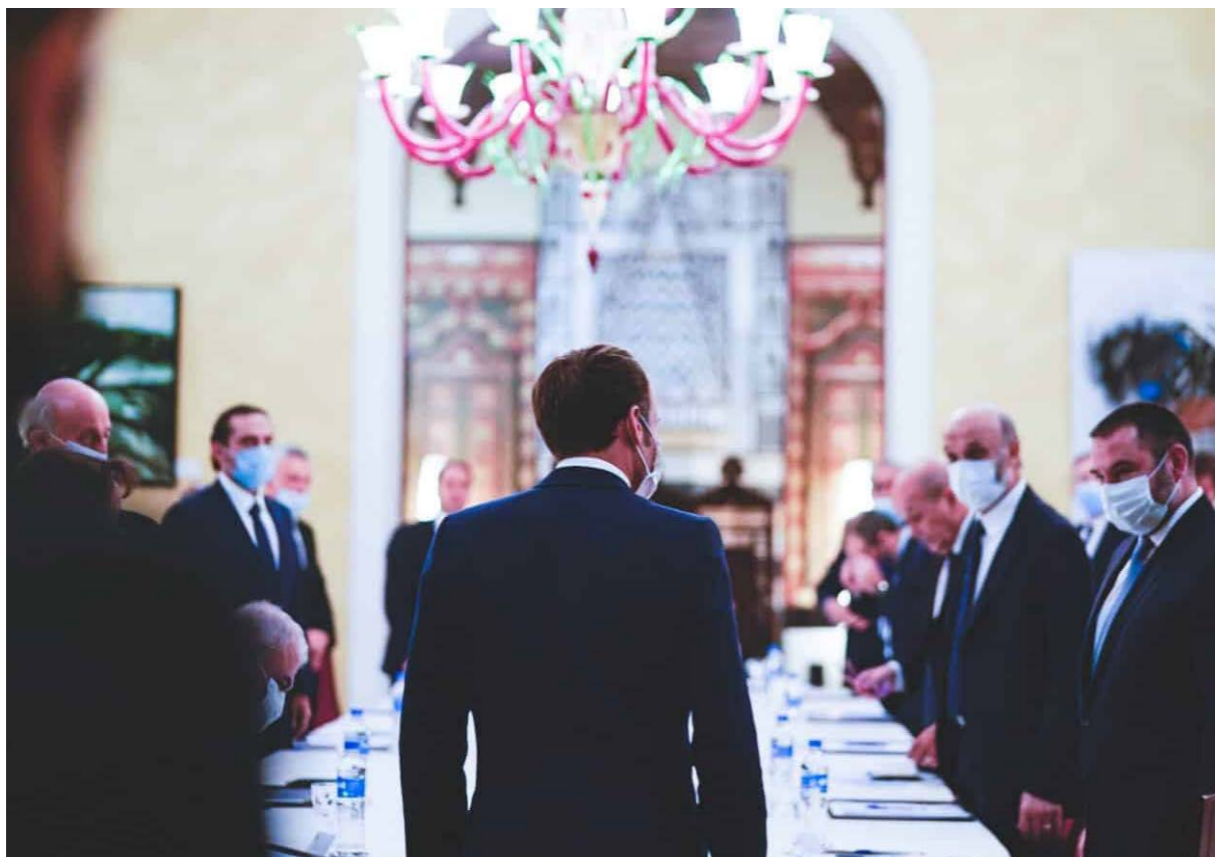
1- خصوصية العلاقة الفرنسية - اللبنانية على مر التاريخ. ليس هناك افضل من الذكرى المئوية الاولى لاعلان لبنان الكبير للتعبير عن الحرص الفرنسي على هذه العلاقة التاريخية والمكانة المميزة للبنان، وعلى الروابط والصلات الثقافية

والحضارية والاجتماعية والاقتصادية بين البلدين.

2- وضع فرنسا في منطقة الشرق الاوسط، الذي سجل في العقدين الماضيين تراجعا وانكفاء في دول عدة بينها العراق حيث النفوذ الفرنسي الخجول مقتصر على كردستان، وليبيا حيث كانت فرنسا السبقة الى اسقاط معمر القذافي من دون قطف الثمار، وسوريا حيث التأثير الفرنسي (والاوروبي) شبه معدوم بين فكي كماشة دولية (روسيا - اميركا) واقليمية (ايران - تركيا). وبالتالي لا يبقى الا لبنان موطن قدم لفرنسا في المنطقة، وخصوصا في منطقة شرق المتوسط، ورأس جسر لسياساتها ومصالحها. لذلك تتمسك فرنسا بلبنان ويكرر ماكرون انها لن تتخلي عنه ولن تتركه لمصيره.

3- الصراع المستجد والمتنامي بين فرنسا وتركيا في خط توتر متعرج يمتد من ليبيا الى مياه المتوسط (اليونان وقبرص) الى لبنان، حيث تتابع فرنسا، كما دول عربية اخرى، باهتمام وقلق التمدد التركي في اتجاه لبنان والبحر عن موطن قدم ونقاط ارتكاز. هذا ما لا تسمح باريس بحدوثه وتقوم بسد المنافذ امام التدخل التركي، معتبرة ان انقرة تلعب في لبنان خارج ملعبها وتحاول الدخول الى حديقة فرنسا المتوسطة الخلفية. ماكرون الساعي الى استعادة دور فرنسا في المنطقة العربية ومن البوابة اللبنانية، لا يتراخى في الكباش الحاصل مع اردوغان، ولا يتساهل في كل ما له علاقة بأمن لبنان واستقراره.

حديتا، انضم لبنان الى خارطة النقاط



تدخل فرنسا في لبنان ليس عابرا ويرتبط بـ 3 عوامل اساسية.

التركي يشكل تهديدا استراتيجيا للمصالح الفرنسية والاوروبية على السواء، وان تركيا، في حال نجحت في مشاريعها، فانها ستجذر حضورها في ليبيا، وستجعل منها منصة للتمدد في اتجاه بلدان اخرى تشكل، تقليديا، مناطق نفوذ فرنسية. وبالنظر الى ضعف حكومة السراج، فمن الواضح انه ستكون لتركيا الكلمة الفصل في خياراتها.

وفيما الحضور الاوروبي - الغربي يتراجع، فان الدفاع عن المصالح الاوروبية، اكان في موضوع الهجرة والنفط والغاز في مياه المتوسط والمصالح الاستراتيجية والسياسية، سيضعف، وستكون باريس، ومعها روما، الخاسرين الاكبرين لانهما كانتا الاكثر حضورا اوروبيا في ليبيا. وما يريده الفرنسيون، طرح موضوع السلوك التركي، واطلاق ناقوس الخطر، والتحذير من حصول احتكاكات مع القطع البحرية التركية، وتصويب اداء انقرة لجهة

”
تتمسك فرنسا بلبنان ويكرر
ماكرون انها لن تتخلي
عنه ولن تتركه لمصيره
باريس تخشى تمهدا
تركيا في افريقيا انطلقا
من ليبيا

الاشتباك الفرنسي - التركي على ارض لبنان هو انعكاس للتوتر الكبير المتصاعد مع ماكرون في الشرق الاوسط، بحيث تدور اشتباكات سياسية كلامية بين فرنسا وتركيا على ارض الازمة الليبية. وترى باريس ان تركيا تتصرف بشكل غير مقبول عبر استغلال الحلف الاطلسي، ولا يمكن لفرنسا السماح بذلك. وترى ان النفوذ

الساخنة بين فرنسا وتركيا في منطقة الشرق الاوسط. وقد فاجأ ماكرون في لقائه ممثلي الاحزاب اللبنانية، في قصر الصنوبر، الحاضرين بتحذيرهم من التحرك التركي في الشمال وخطره على لبنان، منبها الى خطورة الدور التركي في المنطقة وضرورة العمل على منع تركيا من استغلال الازمة اللبنانية كي تظل مجددا على البحر المتوسط بعد تدخلها العسكري في ليبيا ودول اخرى. جاء مثل هذا التحذير الرسمي من خارج السياق العام للزيارة التي جاءت للتعبير عن التضامن مع لبنان بعد انفجار المرفأ. لا شك في ان انقرة قد شعرت بأنها في مرمى الاستهداف الفرنسي المباشر، ومن لبنان هذه المرة. فكان الرد على زيارة ماكرون بزيارة نائب الرئيس التركي فؤاد اوكتاي - تشاوش اوغلو. لسان حال تركيا اليوم انه اذا كانت فرنسا استعمرت لبنان 25 سنة، فان تركيا حكمتها 400 سنة.

لقبرص التركية قاعدة لعملياتها يضمنا لتركيا تفوقا استراتيجيا.

يرى الجنرال المتقاعد جيم غوردنيز ان اليونان، من زاوية القدرة العسكرية، ليست هي البلد الذي تخاطبه تركيا. لكن اليونان وقبرص اليونانية تريدان محاصرة تركيا التي تتحول من لاعب اقليمي الى قوة اقليمية، ويتم استخدامهما من المنظومة الاوروبية - الاطلسية، وهذا جوهر الامر. لكن غوردنيز يرفض حصر الصراع مع اليونان في بعده الطاقوي. ويقول ان الغرب واوروبا والاطلسي اظهروا اخيرا الخارطة الشهيرة المسماة سيفيلا (اشبيلية) التي تحصر تركيا في الاناضول. بهذه الخارطة تنحصر المياه الاقليمية التركية بستة اميال، فيما يبقى القسم الاعظم من المنطقة البحرية بيد اليونان.

ويقول غوردنيز ان هذه ليست فقط خارطة طاقة بل خارطة جيوبوليتيكية تهدف الى خنق تركيا وقطعها عن البحر المتوسط وبحر ايجيه. ويتوقع انه في حال اندلاع حرب مع اليونان، فان الاخيرة ستخسر كل ما اخذته من تركيا من مكاسب على امتداد العقود الماضية. ويقول ان اليونان تدرك ذلك، لكنها قبلت بأن تلعب الدور الدنيء الذي رسمه لها الغرب بتمزيق تركيا واظهارها بلدا ينتهك القانون الدولي. وشبه غوردنيز الوضع في المتوسط وايجه ممارتون، وتركيا لن تغادر ابدا هذا السباق. فهي تمتلك اوراقا كثيرة

عدا القوة العسكرية، ولم تستخدم منها بعد اي ورقة. يمكن ان تمنع تركيا اليونان وقبرص اليونانية من المرور عبر مضيق البوسفور والدردنيل. كما ستعتبر تسليم اليونان للعديد من الجزر المواجهة لتركيا انتهاكا لاتفاقية لوزان وتهديدا لتركيا. وستشكو اليونان الى الاتحاد الاوروبي وحلف شمال الاطلسي والامم المتحدة. وفي اللحظة التي تضع تركيا يدها على الزناد ضد تحريض اليونان وفرنسا والاتحاد الاوروبي سينهار الاطلسي. وانهايار الاطلسي هو مكسب كبير لروسيا والصين وخسارة للولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي.



تركيا لن تغادر السباق في شرق المتوسط وتخوض معركة جيوبوليتيكية.

ماكرون في تعبئة الموقف الاوروبي ضد تركيا لتهديدها مصالح اوروبا وسيادتها

الدولي. لكن بعض الدول المتشاطئة في المتوسط مثل اليونان ومصر واسرائيل، وغير المتشاطئة مثل فرنسا والامارات العربية المتحدة وروسيا، يعمل على ان يكون له مكان في هذه المعركة الجيوبوليتيكية. فتركيا في سعيها للمحافظة على مصالحها وحقوقها في مجال الطاقة، مصممة على ذلك ولن تتردد في الاستعانة بالقوة العسكرية لحماية سياساتها السياسية ذات البعد الطاقوي. واعتبر ان المناورات مع قبرص التركية هي الرد الاقوى حتى الان على استقدام فرنسا اكبر حاملة طائرات عندها، وهي شارل ديغول الى شرق المتوسط. وقال ان اظهار القوة العسكرية واستخدام تركيا

الى اتفاق حول السماء المفتوحة النقل الجوي.

ثمة تدابير اضافية تستطيع اوروبا اللجوء اليها في حال توافرت الارادة السياسية اوروبيا ومنها التهديد بوقف نهائي لمفاوضات انضمام تركيا الى الاتحاد الاوروبي وفرملة الاستثمارات في اقتصادها، ووضع حد لعدد من قطاعات الشراكة بين الطرفين او البرامج المختلفة التي تشارك فيها انقرة وليس اخرها تلك الخاصة بالمجال الدفاعي. يستطيع الاوروبيون فرض عزمة دبلوماسية على انقرة والضغط عليها من داخل الحلف الاطلسي. لكن مشكلة فرنسا التي تنهج خطا متشددا بازاء تركيا منذ عامين على الاقل تكمن في الانقسامات الاوروبية وخصوصا في اختلاف وجهات النظر بينها وبين المانيا.

الصورة المقابلة من جهة تركيا مختلفة ولكنها تتصف ايضا بالتشدد. يرى الجنرال المتقاعد اراي غوتشلوير ان تركيا تخوض معركة جيوبوليتيكية جديده الى اقصى درجة، ويعتبر انها تنقب عن النفط والغاز الطبيعي وفقا لما ينص عليه القانون



ماكرون طرح مبادرة لحماية سيادة العراق وتحويله منطقة استقرار.

لكن رجليه من طين. ما يسعى اليه ان يغير هذا الوضع استشعارا منه ان تركيا ستكون منافسا استراتيجيا لاوروبا للعقود المقبلة في المتوسط والشرق الاوسط وافريقيا. والقناعة الاخرى ان الرئيس اردوغان لا يفهم سوى سياسة ميزان القوى ويمارس سياسة فرض الامر الواقع.

واذ اعتبر الرئيس الفرنسي ان نظيره التركي لم يعد شريكا لاوروبا في المنطقة بالنظر لما يقوم به من انتهاك سيادة عضوين في الاتحاد الاوروبي هما قبرص واليونان من خلال التنقيب عن النفط والغاز في مياههما الاقليمية، جدد دعوته لاوروبا للتكلم بصوت واحد وواضح وللاروبيين لأن يكونوا واضحين وصارمين مع اردوغان الذي يقوم بتصرفات لا يمكن قبولها، ولاقرار العقوبات المتوقعة على تركيا في حال رفضها التجاوب مع التحذيرات والمطالب الاوروبية. تشمل هذه العقوبات خفض المساعدات المقررة لانقرة وكذلك القروض التي كانت تحصل عليها من بنك الاستثمار الاوروبي، اضافة الى وقف التفاوض معها في شأن التوصل

الدفع لاحترام حظر السلاح على ليبيا، ويأملون ان توضح واشنطن مواقفها لانه من غير الدعم الاميري سيكون من الصعب على الاوروبيين ثني انقره عن خططها.

التصادم بين فرنسا وتركيا في ليبيا يمتد الى مياه المتوسط، حيث ترابط مقاتلتان من طراز رافال وسفينتان تابعتان للبحرية الفرنسية الى شرق البحر المتوسط، وسط توتر بين اليونان وتركيا في شأن التنقيب عن الغاز. تقول باريس انها لا تسعى الى المواجهة العسكرية مع تركيا في مياه المتوسط، لكن تراكم الملفات الخلافية بين الجانبين يزيد من توتر علاقتهما، ذلك ان باريس تعتبر تركيا عامل ضرب للاستقرار في ليبيا ومياه المتوسط، منتهكة قواعد عمل الحلف الاطلسي، وهي من اشد البلدان انتقادا للسياسة التركية في سوريا والعراق.

لم يعد خافيا ان ماكرون يمثل السياسة الاكثر تشددا بازاء تركيا ودعا شخصيا الى فرض عقوبات على انقرة، واراد ان يوجه من جهة رسائل حازمة الى تركيا، ومن جهة اخرى الى بقية دول الاتحاد

الاوروبي المنقسمة على نفسها ولم تتوصل الى موقف موحد حتى الان، من اجل التضامن مع اليونان وقبرص عمليا، والتأكيد على وجود ارادة سياسية بعدم التراجع والسير بفرض عقوبات على تركيا، رغم المخاوف الاوروبية من استخدام تركيا ملف الهجرة مجددا لابتزاز اليونان وعبرها اوروبا.

الرئيس ماكرون ماض قدما في تعبئة الموقف الاوروبي ضد تركيا، التي يرى فيها ماكرون تهديدا استراتيجيا لمصالح اوروبا وسيادتها. ثمة قناعة متجذرة فحواها، بحسب مستشاري ماكرون، ان الاتحاد الاوروبي مارد اقتصادي